شذرات حول أشراط الساعة[1]

اعتنى بها

رائد بن عبدالله الثبيتي

(١) أصلها مقدمة كتاب «الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام - دراسة موضوعية في السنة النبوية».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوْلَه، وامتنّ على رسوله بالآيات الباهرات تصدّق قولَه، وأرضاه في أمته وآتاه سؤْلَه، فهم أكثر أتباع الأنبياء عددًا، وأكرمهم نجدةً ومددًا، وصلى الله وسلم على النبي الأمي المختار ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[١]، وعلى آله وصحبه النجُب الأخيار، وعلى تابعيهم حتى دار القرار، أما بعد..

فإن من تمام منّة الله على عباده، وإعذاره لهم، «ولا أحد أحبّ إليه العذر من الله»؛ أن جعل بين يدي يوم الدين والحساب، اليوم الذي يؤمن به المؤمنون من عباده، ويَجمَعون في قلوبهم خوفَه ورجاءَه، لما يكون فيه وممّا وراءه، يوم تشيب الولدان، ويتناسى الخلّان، وتذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت وتضع كلّ ذات حمل حملها، جعل سبحانه بين يديه علامات وأمارات تبيّن قربه، وتؤذِن بدنوّه، -وكلّ ما هو آتٍ قريب-، ثم هو ﷻ أخبر عن ذلك القُرْبِ في كتابه، وأخبر عنه رسوله ﷺ، وكلّما ازداد القرب كانت الأمارات أكثر وأظهر.

قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾[٢].

---

(١) سورة القصص، الآية (٦٨).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١).

وقال سبحانه: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾[1].

وقال ﷻ: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ۝١٨﴾[2].

وأخبر ﷻ عن بعض أماراتها على سبيل الإيماء والإشارة، فقال سبحانه عن سدّ يأجوج ومأجوج: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ۝٩٨﴾[3].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾[4].

وأخبر سبحانه عن الدابّة التي تكلم الناس فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ إلى قوله تعالى: ﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢﴾[5].

---

(١) سورة القمر، الآيتان (١-٢).

(٢) سورة محمد، الآية (١٨).

(٣) سورة الكهف، الآية (٩٨).

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان (٩٦-٩٧).

(٥) سورة النمل، الآيات (٧٦-٨٢).

بل جاء في القرآن الإشارة إلى نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وأنه من أماراتها، قال تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا ١٥٩﴾[1]، وهذا ظاهرٌ على القول بأن المقصود بقوله: ﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ أي موت عيسى، وقد صحّ هذا القول عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره، وهو اختيار ابن جرير وابن كثير رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ٦١﴾[2] على القول بأن الضمير عائد على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو ظاهر على قراءة من قرأ: ﴿لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾، بفتح العين واللام، وهو اختيار ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأما السنة الشريفة؛ فقد جاء فيها من البيان والتفصيل لهذه العلامات ما يُهدى به المؤمنون، وتقام الحجة به على كل مفتون، بل وصف النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأصحابه دقيق الحوادث الكائنات، كما وصف عظيم الفتن المدلهّمات.

فقد روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لقد خطبنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطبة ما ترك فيها

(١) سورة النساء، الآيتان (١٥٨-١٥٩).

(٢) سورة الزخرف، الآية (٦١).

شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت فأعرف ما يعرف الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه.

وروى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي زيد عمرو بن أخطب ﵁ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلّى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمُنا أحفظُنا.

ومن أبرز تلك الأمارات وأظهرها في النصوص، وقوع الفتن، وتكاثرها، وتتابعها، حتى يرقق بعضها بعضًا، وينسي بعضها بعضًا، وأعظم الفتنة -ولا ريب- الفتنةُ في الدين؛ إذ لا نجاة لمن سلب دينه في تلك الفتن -عياذًا بالله-.

وقد بيّن ﷺ كيف العمل حينها، وما أسباب اتقاء فتن ذلك الزمان، وكيف المخرج، في أحاديث كثيرة، منها:

ما روى مسلم في «صحيحه» عن عبدالرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبدالله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست إليه فقال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلًا، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جَشَره، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة. فاجتمعنا إلى رسول

الله ﷺ فقال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنة فيرقّق بعضها بعضًا وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول: المؤمن هذه هذه. فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحبّ أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**».

وعند مسلم أيضًا من حديث العلاء عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا أو يمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا**».

وروى الإمام مسلم رحمه الله أيضًا من حديث عثمان الشحام قال: انطلقت أنا وفرقد السبخي إلى مسلم بن أبى بكرة وهو في أرضه، فدخلنا عليه فقلنا: هل سمعت أباك يحدث في الفتن حديثًا؟ قال: نعم، سمعت أبا بكرة يحدث قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت** -أو **وقعت**- **فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه**»، قال: فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت من لم يكن

له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيدقّ على حدّه بحجر ثم لينجُ إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت**». قال فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت إن أُكرهتُ حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار**».

وهذا البيان والتأكيد منه ﷺ، من كمال نصحه لأمته وشفقته عليهم، ولا غروَ فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم.

بل خاف النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو نفسه من الساعة وأماراتها، مع علمه بإنجاء الله له، وصرفِ فِتَنها عنه، وما ذاك إلا لحياة قلبه، ونور بصيرته، وقدْره ربّه تعالى حقَّ قدره، وهكذا المؤمنون، حالهم كما قال الله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ﴾(١).

فقد روى الشيخان من حديث بريد بن عبدالله عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فزعًا يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله..

وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث الزهري عن عروة بن الزبير أن زينب

(١) سورة الشورى، الآيتان (١٧-١٨).

بنت أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش رضي الله عنهن أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب، من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**»، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**».

وفي البخاري من حديث الزهري عن عروة عن هند بنت الحارث الفراسية عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة -وفي رواية محمد بن أبي عتيق عن الزهري: «فزعًا»- فقال: «**سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن! وماذا فتح من الخزائن! أيقظوا صواحبات الحجر؛ فربَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**».

ثمّ لم يزل الصحابة رضي الله عنهم على هذا الهدي سائرين، يحفظون هذه الفتن ويتعلّمونها ويعلّمونها؛ ليتقوها، ويحذّروا الناس منها.

ففي «الصحيحين» من حديث الأعمش عن شقيق عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا كما قاله. قال: إنك عليه -أو عليها- لجريء. قلت: «**فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي**». قال: ليس هذا أريد؛ ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابًا مغلقا. قال: أيكسر أم

يفتح؟ قال: يكسر. قال: إذًا لا يغلق أبدًا. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما أنّ دون الغد الليلة، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط.

وحذيفة رضي الله عنه هو القائل -كما في «الصحيحين» أيضًا-: «كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله، عن الشر مخافة أن يدركني..».

وتقدّم في حديث عمرو بن أخطب رضي الله عنه عند مسلم قوله: «فأعلمُنا أحفظُنا».

وهذه الأخبار ليست أخبارًا محضةً، لا تعلّقَ لها بالعمل، بل هي أخبار متضمنةٌ معنى الإنشاء والطلب، والأمر والنهي، فأسعدُ الناس بها هم من استمسك بالسنة والهدى؛ إذا رأى العلامات المذكورة فيها، فذاكم الموفق السعيد، أما من ازداد علمُه بهذه الأخبار وقلّ عملُه، ودرى خبرَها ولم يمتثل أمرَها؛ فقد استكثر على نفسه الحجج، ولم يجنِ سوى الخيبة، فهو المخذول الشقيّ -أعاذنا الله-.

روى الشيخان في «صحيحهما» عن أنس رضي الله عنه أن رجلًا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «**وماذا أعددت لها؟**» قال: لا شيء؛ إلا أني أحب الله ورسوله. فقال صلى الله عليه وسلم: «**أنت مع من أحببت**».

وهذا الحبّ -ولا شكّ- مستلزم للعمل الصالح، الذي لا يدخل أحدٌ الجنة بدونه.

ومن هذه العلامات والأمارات التي تكون بين يدي الساعة؛ ما جاء في الأحاديث الصحاح والحسان، من ملاحم آخر الزمان، التي تكون بين أهل الكفر وأهل الإيمان، وإن كانت حربهم مستمرة مدى الأزمان، لم تكِلَّ سيوف الحق من قراعهم ولا يزالون، ولم يفتأ أعداء الدين يكيدون ويمكرون، ويمكر الله وهو خير الماكرين، إلا أن صراع تلك الحقبة أعظم احتدامًا، وجيوش الفريقين أشدّ التحامًا، ويمتاز أهل الإيمان بعسكرهم، وأهل الباطل بعساكرهم، والعاقبة للمتقين.

ومما وقع في عصرنا هذا، وقد أخبر عنه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كثرة القتل، ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل القتل، حتى يكثر فيكم المال فيفيض**».

وهذا الأمر قد لمسناه في السنوات الأخيرة، بل كلّما مرّت الأيام هو في ازدياد، تصديقًا لما أخبر به الصادق المصدوق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومن العلامات أيضًا التي وقعت مقدماتها في وقتنا قتال المسلمين لليهود.

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**».

وفي «صحيح مسلم» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله**».

وفي هذين الحديثين عدّة علامات ودلائل على نبوّته ﷺ، فمنها:

١- ما أشار به إلى أن اليهود سيوف يكون لهم كيان وسلطان وقوة، ودليل ذلك قوله: «**لتقاتلنّ**»، ولم يقل: تقتلون. فالمقاتلة لا تكون إلا لمن كان له كيان وسلطان، بخلاف القتل فإنه يكون للمقدور عليه، فلا يكون له قوة يقاتل بها ويدافع، ويؤيد ذلك الرواية الأخرى -وهي في «الصحيحين»- «**تقاتلكم اليهود**»، وهذه الرواية أصرح في الدلالة على ما تقدم، وهذا ما حصل في هذا العصر لليهود، بعد قيام دولتهم، وقد مرّ عليهم مئات من السنين كانوا ضعفاء فلم تكن دولة لهم ولا سلطان[١].

---

(١) ويؤيد ذلك ما أخرج الطبراني وابن منده وابن قانع من طريق محمد بن أبان عن يزيد بن يزيد بن جابر عن بسر بن سعيد عن أبي إدريس الخولاني عن نهيك بن صريم قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتقاتلن المشركين حتى تقاتل بقيتكم على نهر الأردن الدجال أنتم شرقيه وهم غربيّه**». ومحمد بن أبان: الأكثر على تضعيفه.

وجاء عند أحمد وابن خزيمة والحاكم وصححه على شرطهما والبيهقي في الكبرى من طريقه من حديث ثعلبة بن عباد العبدي، عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ في ذكر الدجال وفيه أنه: «..**وأيم الله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقون في أمر دنياكم**

وآخرتكم، وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا، آخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى كأنها عين أبي تحيى -لشيخ حينئذ من الأنصار بينه وبين حجرة عائشة رضي الله عنها **وإنها متى يخرج** -أو قال-:**متى ما يخرج فإنه سوف يزعم أنه الله، فمن آمن به وصدقه واتبعه لم ينفعه صالح من عمله سلف، ومن كفر به وكذبه لم يعاقب بشيء من عمله،** -وقال حسن الأشيب: **بسيئ من عمله سلف- وإنه سيظهر** -أو قال: **سوف يظهر- على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس يحصر المؤمنين في بيت المقدس فيزلزلون زلزالًا شديدًا، ثم يهلكه الله تبارك وتعالى وجنوده، حتى إن جذم الحائط** -أو قال: **أصل الحائط**، وقال حسن الأشيب: **وأصل الشجرة- لينادي:** -أو قال: **يقول- يا مؤمن** -أو قال: **يا مسلم- هذا يهودي-** أو قال: **هذا كافر- تعال فاقتله**»، قال: «**ولن يكون ذلك كذلك حتى تروا أمورا يتفاقم شأنها في أنفسكم وتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرا وحتى تزول جبال على مراتبها ثم على أثر ذلك القبض**»، قال ثم شهدت خطبة لسمرة ذكر فيها هذا الحديث فما قدم كلمة ولا أخرها عن موضعها».

وهذا لفظ أحمد، ولم يذكر ابن خزيمة والحاكم والبيهقي قوله: «**يا يهودي**».

وثعلبة ليس بالمشهور، وإنما اشتهر بهذا الحديث، فهو مقلّ جدًا؛ ولذا حكم علي بن المديني بجهالته، وأما الترمذي فقد صححّ له هذا الحديث، ولكنه لم يسق الخطبة، ويظهر أنه تعمّد ذلك كما هي طريقته، وأما أبوداود والنسائي فقد صرّحا بأنهما لم يذكرا الخطبة، والسياق الذي معنا إنما وقع في بعض رواياته.

ويؤيده في الجملة ما جاء عند مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن الدجال يقتل بباب لدّ.

والشاهد من هذه الأحاديث أن قتل اليهود سوف يكون في فلسطين، والواقع الآن يشهد بذلك فهم قد اجتمعوا فيها من مختلف أقطار العالم، ومن المعلوم أن من أكثر

٢- أن هذا القتال لن ينتهي بصلح أو اتفاق، وإنما تكون نهايته بقتل ذريع لليهود، والواقع الآن يشهد بذلك، فالمفاوضات بين العرب واليهود مرّ عليها عقود ولم تنتهِ باتفاق، حتى إن بعض قادة العرب تنازلوا عن أشياء كثيرة، حتى قيل: ليس هناك شيء آخر بعد ذلك يتنازلون عنه.

٣- أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر أن الحجر والشجر سوف يتكلم، ما عدا شجرة الغرقد، والآن اليهود يكثرون من زراعة هذه الشجرة حول قراهم وأماكن تجمّعاتهم، وهذا مصداق لما أخبر عنه ﷺ.

٤- قد يستفاد من قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله**»، شدّة العداوة بينهما، وأن اليهود قد بالغوا في قتل المسلمين والاعتداء عليهم وأذيتهم -وهذا هو الواقع الآن بل هو في ازدياد- حتى إن الله ﷻ ينطق الشجر والحجر، ويكونان مع المسلمين في قتل اليهود، كي تشفى صدور المؤمنين منهم، ويذهب الغيظ الذي في قلوبهم، فصلوات الله وسلامه على هذا الرسول الكريم، الذي لم تزل دلائل نبوته تظهر وتتجدد منذ أن بعث وإلى قيام الساعة.

ووجه ذلك أن النبي ﷺ لم يخبر عن انتصار على اليهود فقط، بل عن شدة

أتباع الدجال هم اليهود، كما ثبت عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أنه يتبع الدجال سبعون ألفًا من يهود أصبهان.

قتلٍ لهم، وهذا بسبب طغيان وظلم شديد منهم، والله سبحانه لا يظلم أحدًا، بل هو الحكم العدل.

ومن المعلوم أنه قد جاءت النصوص الصحيحة الصريحة في فضل الشام وبركتها، وما امتنّ الله به عليها وعلى أهلها وأنعم، فمن ذلك قول الله جل وعلا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾(١).

وقوله سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾(٢)، وعامة المفسرين أنها الشام.

وقال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾(٣).

وروى البخاري في «صحيحه» من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا**» قال: قالوا: وفي نجدنا. قال: قال «**اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا**» قال: قالوا: وفي نجدنا. قال: قال: «**هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**».

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٧١).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٨١).

ومن ذلك التفضيل الرباني؛ ما يكون آخر الزمان في حين الفتن والملاحم، حيث تكون الشام مأرز الإيمان، كما كانت في أول الإسلام من أعظم معاقله، فتتجلّى بركتها، ويسطع نور فضلها، فيصير بها عسكر أهل الإيمان، ثم ينحاز إليها جند الرحمن، فينزل نبي الله وروحه وكلمته عيسى بن مريم عليه السلام بها، ويكون على يده نهاية صراع أهل الكفر والإيمان، فيقذف الله بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

وقد اطّلعت على رسالة الأستاذ/ بسّام بن خليل الصفدي - وفقه الله- في هذا الموضوع، بعنوان: «الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام»، فألفيتها رسالةً علمية مفيدة، حسنة النظْم، سهلة الأسلوب والفهم، مرتّبة الفصول والأبواب، تكلّم فيها عن فضل الشام وبركتها، والفتن والملاحم الكائنة بها، وما يكون من أشراط الساعة المتعلقة بها، وجمع الأخبار في ذلك، ودرس أسانيدها ومتونها، ثم حكم بما ترجّح عنده عليها، وأفاض في النقول عن أهل العلم، من شراح الحديث، والمدوّنين في الفتن وأشراط الساعة، ولم يُخلِ رسالته من التذكير والنصيحة، وتبيين الواجب الشرعي عند حلول تلك الخطوب، فأجزل الله له المثوبة، ونفع بما كتب، إنه سميع مجيب.

١٤٣٦/٢/٩ هـ

❁ ❁ ❁